مخالفة التوقع اللغوي في القرآن الكريم وأثرها على الدلالة

د/ محمد عبد النبي محمد احمد
أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد
كلية الآداب بالوادي الجديد – جامعة أسيوط

مقدمة

من المقرر أن القرآن الكريم معجز، والكلام المعجز لا يتميز بأصواته وكلماته وتراكيبه عن غيره، إذ الحروف والكلمات والقواعد المستخدمة في القرآن الكريم هي نفسها مكونات البناء اللغوي في أي نص عربي آخر (شعراً أو نثراً) ، إلا أن استخدام القرآن الكريم لهذه المكونات قد اختلف عن كلام العرب في واقع النظم والارتباط والتعلق، وهذا ما يقرره الباقلاني - وهو واحد من المعنيين بالقرآن الكريم – بأن الكلام المعجز لا يتميز عن غيره بحروفه وصورته، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً [1]، فمدار الإعجاز ليس في الحرف أو الصوت، وإنما بذلك الارتباط القوي بين هذه المكونات اللغوية التي يأخذ بعضها بحجز بعض، ولو غيرت أو عدلت كان ذلك على حساب المعنى.

وقد وقف الباحث أمام العديد من المقولات التي استقرت في الدرس اللغوي، وهي بحاجة إلى مناقشة أو تفسير؛ كالقول بمجيء المفرد مكان المثنى، أو موضع الجمع، أو وضع الجمع مكان المفرد، دون ذكر دلالات مترتبة على هذا، ولو كان الأمر فقط هو إرادة وضع المفرد موضع الجمع - دون أن تكون هناك دلالة مقصودة – فلماذا عدل إلى المفرد ولم يأت بالكلمة جمعاً من الأساس؟

وكذلك القول بـ" تناوب الصيغ " دون النص على دلالة زائدة مترتبة على هذا التناوب، والقول بالتغليب في التراكيب التي تتحدث عن العنصر النسائي فيأتي التعبير لجماعة الذكور، ويكون تفسير بعض النحاة والمفسرين أن ذلك جاء تغليباً؛ دون أن يكون هناك بحث عن دلالة مكملة لتفسر هذه المخالفة للتوقع اللغوي، وكذلك بعض العبارات التي

(1) انظر: أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، سلسلة: ذخائر العرب، القاهرة، دار المعارف، ٢٠١٠، ص ٣٨٢.

ترتبط بالتعريف والتنكير فيقال مثلاً: عُرّف هذا لشرفه وفضله وعلوه ونُكّر هذا لأنه يأتي في درجة أقل من الشرف والفضل والعلو، وهذا كثير جداً في كتب المفسرين.

ومع عدم التسليم – المطلق – بالمقولات العامة التي لا تصدق في كل حال – على جميع النصوص ولا يمكن تعميمها؛ فقد جاءت هذه الدراسة لمناقشة موضوع مهم، وهو " مخالفة التوقع اللغوي في القرآن الكريم وأثرها على الدلالة " كما يهدف إلى بيان الأثر الدلالي المترتب على وجود هذه المخالفة.

ينطلق البحث الحالي من افتراض أن مخالفة التوقع اللغوي – كما تم رصده في بعض آيات القرآن الكريم– كان لها غرض دلالي وكانت مقصودة لاستحداث دلالة جديدة لم تكن موجودة في حالة مجيء التركيب على مقتضى قواعد النظام اللغوي المعروفة، لذا سوف ينطلق البحث من اتخاذ الدلالة محوراً ومنطلقاً لتفسير تلك المخالفات.

وقبل الشروع في البحث يود الباحث تقديم تفسير لعنوان بحثه (مخالفة التوقع اللغوي)، وأعنى به: مجيء التركيب على خلاف ما كان ينتظره السامع، واختيار مصطلح (مخالفة التوقع اللغوي) بمفهومه السابق يغاير مصطلحات أخرى – قد يتوهم انه بمعناها - كالعدول والانزياح مثلا، وذلك أن العدول يفترض فيه أن يكون عدولاً عن أصل، وكذا الانزياح بخلاف (مخالفة التوقع اللغوي) فإنه لا يفترض أصلا في أحد جزأي المخالفة، إذا يمكن للقائل المغايرة بينهما مع بقاء المخالفة كما هي، فمثل قوله تعالى:" يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ" لا مجال فيه للقول بالعدول أو الانزياح فلا يقال : عدل عن التنكير في " إِنَاثًا" إلى التعريف في "الذُّكُور"، ولكن يمكن القول بأن هناك مخالفة للتوقع اللغوي؛ حيث يمكنه – في غير القرآن – أن يقول "يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الإِنَاثَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ" أو يقول: "يَهَبُ لِمَ

بيان إذا وجد أحق بالبناء "أحقوراً"، مما يفسر بهذه المخالفة وجود الم
(تابع صفحة السابق)

في ضوء البحث وفق الخطوات المنهجية التالية:

- جمع الآيات القرآنية المتضمنة مخالفة للتوقع اللغوي.
- تصنيف تلك المخالفات للتوقع اللغوي لسهولة دراستها وتفسيرها
- الرجوع إلى المصادر التي تناولت تلك الآيات بالدراسة والتفسير من الجانب اللغوي والدلالي.
- تقديم تفسيرات دلالية لمخالفة التوقع اللغوي في القرآن الكريم.
- استخلاص الأثر الدلالي المترتب على هذه المخالفة.

وسوف يتحدد البحث - بمشيئة الله - من مخالفة التوقع اللغوي في القرآن الكريم من خلال المحاور التالية:

أ- مخالفة التوقع اللغوي في العدد

ب- مخالفة التوقع اللغوي في الصيغ

ج- مخالفة التوقع اللغوي في الإعراب

د- مخالفة التوقع اللغوي في النوع

هـ- مخالفة التوقع اللغوي في التعيين

و- مخالفة التوقع اللغوي في المفرد والجملة

أولاً: مخالفة التوقع اللغوي في النوع (المخالفة بين التانيث والتذكير):

ومن ذلك قوله تعالى:" وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ[1]".

حيث جاء الوصف لمريم عليها السلام مذكراً مخالفًا للتوقع اللغوي، والمتوقع أن يكون الوصف مطابقًا لمريم فيقال (من القانتات) وقد ذكر أن هذا من باب تعليب الذكورية على التانيث، والقانتين شامل للذكور والإناث[2]،وقد يكون هذا التفسير مقبولا إلى حد كبير، لكنه يجعل نسبة قنوتها مرتبطة في التخريج الأول بالذكورية والتغليب والتغليب في مثل هذه الحالة من المدح غير مقبول في ذكر ما وصفت به من العلو والكرامة؛ إذ إنها مخصوصة بذاتها ولذاتها دون تشريك مع الرجال، وذلك لأن التغليب يجعل معها كثيرات في حالتها أو على حالتها وهو – بلا شك – غير مقصود هنا ؛ لأن مثل هذا النموذج في تقواها إنما يمثل النسبة الأقل .

وذكر السمعاني أن مقصوده عزوجل: كانت من قوم قانتين[3]. ولا أرى في ذلك مدحًا لها بقدر ما هو مدح للقوم الذين كانت منهم وكأن الحديث عن قومها لا عنها ، ولربما صادف أن يكون المرء من قوم صالحين ولكنه ليس بصالح، وهذا واقع وكثير ومشهور، وابن سيدنا نوح

---

(١) سورة التحريم :١٢

(٢) البحر المحيط في التفسير ، ابو حيان الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل دار الفكر ، بيروت، ١٤٢٠هـ ١٠/٢١٧، ومفاتح الغيب المسنى بالتفسير الكبير ، الرازي دار إحياء التراث ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ، ٣/٥٧٦

(٣) تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ٥/٤٨٠، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م ، ٩/٣٥٢.

يمثل هذا النوع، فأي مزية هنا لمريم – عليها السلام – وقد كان المدح لقومها، ومقصود الآية متجه إليها في المقام الأول، فلا يمكن أن يكون تفضيلها فقط من جهة أنها من أعقاب القانتين " لأنها من عقب هارون اخي موسى – عليهما السلام – أو من أن رهطها وعشيرتها كانوا جميعًا اهل صلاح مطيعين لله[1]"، فما يفيد مريم أن يكون قومها جميعًا أهل صلاح وهي خارج هذه الدائرة، وإنما فضل مريم في المقام الأول لصلاحها.

ومع رفض الاتجاه القائل بالتغليب والقول بوجود دلالة مرتبطة بمخالفة التوقع اللغوي بين التأنيث والتذكير؛ فإن البحث يرى أنه خالف التوقع اللغوي هنا وجاء بالصفة مذكرة لأحد أمرين :

- الأمر الأول: أنه لم يقصد به الخبر عن الصفة؛ بل كان مقصوده – والله اعلم – القصد عمن اتصف بها، وهذا يسوقنا إلى تأكيد المخالفة التي اكدت على أفضلية مريم لذاتها.

- الأمر الثاني: حيث عدّها من الذكور وجعلها بمثابتهم، فهو قد ساوى بين المرأة والرجل في هذه المزية، ولم يكن في جنس مريم كثير ممن يتصف بهذه الصفة، وإلا لجاء التعبير القرآني متوافقًا مع الموصوف المؤنث (قانتات)، وعندئذ تغيب افضلية مريم عليها السلام؛ لكنه لما عبر بتعبير يختص به الذكور في أصل وضعه؛ دل هذا على علوّ مريم ومكانتها .

وهذا الذي ذكرناه من عدم الميل إلى القول بالتغليب، يشبه قوله تعالى :" وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ[2]"؛ حيث ذكر

(١) البحر المحيط، ٢١٧/١٠، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٢٤/٥.

(٢) سورة يوسف:٢٩.

اغلب المفسرين أن هذا من باب التغليب ايضاً وان النساء يدخلن م
الرجال في هذا، ولكن البحث يختار اتجاهاً آخر غير القول بالتغليب - م
اجل الوصول إلى دلالة المخالفة اللغوية – حيث إنه قال لها من الخاطئين
ولم يقل من الخاطئات، وذلك لأنه أراد أن يخفف على نفسها من وقع هذ
التهمة التي واجهها بها، ولذا لم يجعل تلك الخطئية مقصورة على بنات
جنسها؛ بل يشاركهن الرجال فيها، وهو واحد من الرجال فلا عليها إذن ان
تستغفر لذنبها، وهو المتفق مع سياق الآيات قبلها، فهو لم يواجهها بالتهمة
في شخصها بل واجهها بها في بنات جنسها [1]، فقال: " إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ
كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"[2]، ولم يقل : من كيدك على التحديد انسجاماً مع إرادته
التخفيف عنها ورفع الحرج.

ثانيًا : مخالفة التوقع اللغوي في التعيين (المخالفة بين التنكير والتعريف):

من صور المخالفة للتوقع اللغوي قوله تعالى :" لِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ"[3] حيث جاء بلفظ" الإناث" منكراً، وبلفظ "الذكور" معرفاً
بالألف واللام، وفي هذا مخالفة بين النوعين تنكيراً وتعريفاً، وقد ذكرت
عدة تعليلات لهذه المخالفة، منها أن هذا من عادة العرب إذ إنها تقدم
المؤخر، وتؤخر المقدم، فهي تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره [4]، كما
في قوله تعالى :" يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ

(١) التفسير القرآني للقرآن الكريم ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٢/٦.

(٢) سورة يوسف:٢٨.

(٣) سورة الشورى:٤٩.

(٤) فقه اللغة فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي،ط١٤٢٢،١هـ ، ص ٢٢١.

ور المصورين[1]"، وقوله تعالى: "هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ"[2]، وقوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ"[3] وقوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"[4] حيث قدم المسبوق على السابق في كل منها، والمخالفة هنا من ناحية الترتيب أو المنطق.

وقدم الكبر على الأصغر وهو مخالفة تصنيفية، وقدم الليل على النهار في هذا الجانب، وربما كان الليل مخلوقًا قبل النهار، والشاهد في كل هذه المخالفات – وإن حملت مخالفات والفعل– هي مخالفات منطقية خاضعة لمنطق الترتيب والتصنيف، ولكنها تبعد عن مخالفة التوقع اللغوي حيث إنه جاء بالأنواع متساوية أفعالًا وأسماء، وهذا الأمر المختلف مع لغة موضع الشاهد هنا.

وهذا التعليل الذي ذكره التعالبي غير مرضٍ – على الأقل في الآية محل الشاهد – وذلك لأن تقديم المؤخر أو تأخير المقدم إذا لم يكن وراءه دلالة يقصد إليها المتكلم، فلا فائدة من هذا التقديم أو التأخير، ومن المعروف أنه لا تقديم ولا تأخير إلا بدلالة مقترنة على ذلك.

١) سورة آل عمران: ٤٣.

٢) سورة التغابن: ٢.

٣) سورة الملك: ٢.

٤) سورة الأنبياء: ٣٣

ومنهم أيضًا من أورد سببًا لهذه المخالفة تتعلق بتشريف الذ
على الإناث، ولذا جاء التمييز بإدخال الألف واللام عليهم[1].

وقيل: قدم الإناث وأخر الذكور معرّفًا من أجل المحافظة
الفواصل في الآيات[2]. والقول بالشرف المطلق للذكور على الإناث مط
أو العكس قول فيه نظر؛ إذ مدار التشريف يكمن في العقائد وما يتر
عليها من عمل، ومن المعلوم أن الأمور التكليفية يتساوى فيها الج
الرجل مع المرأة دون مزية لأحد منهما على الآخر، وإذا كان التف
بين العربي والعجمي يكون بالتقوى؛ فإن التفريق بين الرجل والم
يكون بالعمل، والتاريخ مليء بنماذج نسائية تفضل ملايين الرجال؛ لذ
يمكن التسليم بالتشريف المطلق للرجل أو التشريف المطلق للمرأة.

وذهب القاسمي إلى أن الغرض من تعريف الذكور هو مج
التفخيم[3]، وهو معنى قريب من المعنى السابق حيث ذكر التشر
والأهمية، ولا شك أن هذا أيضًا حكم عام لا يمكن ضبطه بقاعدة فم
كل تعريف يفيد التفخيم والتعظيم، كما أن كل تنكير لا يمكن أن يف
عكس ذلك، والمدار في فهم ذلك كله على السياق إذ إنه هو المتو
بذكر تلك المعاني، بل إن هناك نكرات عديدة وردت في سياقات مف

(١) النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكت
العلمية، بيروت ، لبنان، ٢١١/٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحم
البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ١٦/١٠.

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق:
علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ، ٥٢/١٢، وغرائ
التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسس
علوم القرآن، بيروت، ١٠٥٥.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلم
بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ١٠/٩.

وقد افادت معنى التعظيم ؛ كقوله تعالى:" سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ[١]"، وقوله تعالى :" لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ[٢]" فسلام في الآية الأولى، ومغفرة في الآية الثانية قد وردتا نكرتين وقد دلتا على التفخيم هنا ايضاً، فالقول بأن تعريف الذكور هو تفخيم ويقابله تنكير الإناث – وهو يعني في تلك الحالة عدم تفخيمهم بالمفهوم السلبي – قول لا يمكن أن يكون مقصوداً على هذا النحو المذكور.

ويمكن للبحث ذكر اسباب هذه المخالفة بين اللفظتين تنكيراً وتعريفاً على النحو التالي:

<u>اولا:</u> مراعاة السياق للغرض المسوق له الكلام، وذلك ان الله سبحانه وتعالى قد ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته، وذكر قسمة الأولاد، فقدم سبحانه وتعالى الإناث؛ لأن السياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم[٣]على حد عبارة سيبويه[٤]، ولما في تقديم الإناث من التعريض في ابتداء تعداد النعم الموهوبة على عكس العادة عندهم في

---

(١) سورة يس:٥٨.

(٢) سورة المائدة :٩.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٢٣٢/٤، والتحرير والتنوير المسمى :" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤، ١٧٩/٢٥، وانموذج جليل في اسئلة واجوبة عن غرائب آي التنزيل، الرازي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى،دار عالم الكتب

المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٩٩١م، ص ٤٦٢.

(٤) يقول سيبويه :" كانهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم" الكتاب ، سيبويه ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٣، ١٩٨٨م، ٣٤/١.

تقديم الذكور على الإناث[١]، فقدم ما كانت تؤخره الجاهلية من امر البنات، حتى كأن الغرض بيان أن هذا النوع المؤخر الحقير عندكم مقدم عندي في الذكر[٢]

ثانيًا: ضعف الأنثى وانها عاجزة عن القيام بأمرها – في كل الأمور – بنفسها ؛ فقدم ذكرها تنبيهًا على انه كلما كان العجز والحاجة اتم كانت عناية الله به اكثر، وفي هذا تذكير للمراة بأن الله قدمها في الذكر لتعلم ان المحسن المكرم هو الله تعالى، وإذا علمت المراة ذلك زادت في الطاعة وابتعدت عن موجبات الطعن والذم[٣].

ثالثًا: قدمت الإناث مع تنكيرهن؛ لأنهن الأكثر والغالب في تكثير النسل[٤]، أو لأنهن العدد الأكثر والغالبية بالنسبة إلى الذكور[٥]، فناسب الأقل التعريف مع التأخير، وناسب الأكثر التنكير مع التقديم؛ لأنه الأنسب في إفادة التكثير، ولعل الإحصاءات الحديثة تؤكد هذا الرأي السابق من ان عدد الإناث على مستوى العالم يفوق عدد الذكور بكثير[٦].

(١) التحرير والتنوير، ١٣٨/٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق : سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر ط٢ ، ١٤٢٠هـ، ٤٦٩/١

(٣) روح المعاني، ٥٣/١٣.

(٤) محاسن التأويل، ٣٧٥/٨، وروح البيان،إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر، بيروت ، ٣٤٢/٨.

(٥) فتح القدير ، الشوكاني، دار ابن كثير،دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ٦٣٢/٤.

(٦) انظر : جدلية تعدد المعنى في الخطاب الديني ، د.محمد عبيد ، بحث منشور ضمن اعمال كتاب الألسنية المعاصرة واتجاهاتها ، الجامعة الماليزية ، مجلس النشر العلمي الماليزي، ٢٠١١م، ص ٣٢١.

ثالثًا : مخالفة التوقع اللغوي في العدد

(أ) مخالفة التوقع اللغوي بين الإفراد والتثنية:

قال تعالى :" وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا.....[١]"؛ حيث متعلق الفعل "انفضوا ": " إليها " عائداً على التجارة وحدها، ولو جاء متوافقًا مع التوقع اللغوي؛ لقال: إليهما عوداً على التجارة واللهو معًا، وذكر اثنين أو اكثر وعود الضمير على أحدهما كثير في كلام الله تعالى، وفي غيره من كلام العرب؛ كقوله "وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا[٢]"، وقوله تعالى :" وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ...[٣]"، وغير ذلك من الآيات التي ورد فيه التركيب على هذا النحو.

وتفسيره لدى النحاة أنه يجوز عود الضمير عليهما معًا، أو تقدير ضمير محذوف للمسكوت عنه، ويلاحظ أنه إذا ذكر شيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث؛ جاء بالضمير مذكراً كقوله تعالى:" وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ...." لكن في الآية محل الدراسة جاء بالضمير مؤنثًا بعد مذكر " انْفَضُّوا إِلَيْهَا".

أما عن إفراد الضمير فقد ذكر السمين الحلبي أنه لا يثنى إذا كان العطف بأو،وكذلك الخبر والحال والوصف؛ وذلك لأنها لأحد الشيئين[٤]،ويعترض على الرأي السابق بأنه لو أفرد الضمير مراعاة للعطف

(١) سورة الجمعة :١١.

(٢) سورة النساء:١١٢.

(٣) سورة التوبة :٦٢.

(٤) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،السمين الحلبي، تحقيق: د.احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٠/٢٣٢.

لنفضوا بأو لكان المناسب - هنا - مراعاة حالة الأقرب، والأقرب الهو فالضمير الأليق على هذا التفسير: " انفضوا إليه".

ويقدر الزمخشري ضميراً مناسباً لتقديره :وإذا رأوا تجارة انفضو إليها، وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه، ثم حذف وأخر الضمير الأول[1]، اكتفا بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة الكلام على اشتراكهما فيه. وذكر الزمخشري انه خص التجارة بالعائد لأنها كانت سبب الانفضاض عنه صلى الله عليه وسلم وهو يخطب[2]، وذلك ان الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في الآية على التجارة وإن كانت أبعد ومؤنثة لأن أجنب تقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو، بدليل ان المشتغلين بها أكثر من اللهو، ولأنها أكثر نفعاً من اللهو[3]، أو يكون المراد من اللهو "الطبل" الذي كانوا يستقبلون به العير، والترديد للدلالة على أن ما من الانفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته، أو للدلالة على أن الانفضاض إ التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً كان الانفضا إلى اللهو أولى بذلك[4].

وهنا التفسير لاختيار ضمير المؤنث دون المذكر أو ذكر غير التثنية جاء مناسباً لتقديم التجارة على اللهو هنا بخلاف قوله تعالى: " ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ[5]"، ولم يراع الترتيب الذي ذكر من تقديم التجارة على اللهو؛ لأن التجارة هي المطلوبة والمناسبة هن

(1) الكشاف، 4/536.

(2) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، 1/336.

(3) المصدر والصفحة.

(4) انوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ 5/211.

(5) سورة الجمعة:11.

واللهو لا فائدة فيه، فأعلمهم أنهم إذا راوا تجارة وهي المرغوب فيها عندهم، أو لهواً لا فائدة فيه فينفضون[1]، فتقديم التجارة اولاً لأنهم احرص عليها، وقدم اللهو في آخر الآية على التجارة ؛ لأنه ليس كل الناس ينشغلون بالتجارة عن الصلاة فكثير من الناس ينشغلون باللهو؛ فيكون ذمهم على انفضاضهم اشد واوجع حتى لا يعودوا إلى مثل ذلك[2]، وايضًا جاء تاخير التجارة هنا ليكون مجاوراً لقوله تعالى:" وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" من باب المناسبة للتجارة[3]، فلو التزم الترتيب الأول لكان المجاور لقوله تعالى " وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" هو اللهو، وهو غير لائق هنا.

(ب) مخالفة التوقع اللغوي بين الجمع والمفرد

قال تعالى:" إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ....[4]"؛ حيث جاءت هذه الأصناف المستحقة للصدقات مجموعة إلا الصنف الأخير فقد جاء مفردًا مخالفًا بذلك الأصناف التي سبقته، ولو جاء متوافقًا مع التوقع اللغوي لجاء مجموعًا، والعلة في ذلك قلة عدد ابن السبيل إذا ما قورن بالفقراء والمساكين والعاملين عليها .....، وهم بلا شك أكثر عددًا، وكلهم معروف الحال والوصف بخلاف ابن السبيل؛ فإنه من الصعوبة بمكان أن يتم التعرف عليه إلا من خلال امارات معينة، فيتوجب على القائمين التوصل إليه خاصة انه لا يطلب ولا يسال، فإفراده

(1) النكت في القرآن الكريم، ابن بطال،دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ٢٠٠٧م، ٤٩٥، وتفسير الماوردي، ٢/٦.

(2)التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة،ط١، ٣٩١/١٤. .

(3) تفسير الرازي،٥٤٤/٣٠.

(4) سورة التوبة : ٦٠.

هنا إنما "جاء تنبيهًا على خصوصية حالته"[1]، فهو دون جميع ما قبله لندرة وجوده[2].

ولعل هذا الإفراد هو تعبير أو رسم حالة خاصة لهذا النوع المستحق للصدقة، وهو حالة الانفراد التي يعيشها بعيدًا عن أهله ومال ووطنه فكأن في هذا الإفراد- دون الجمع - تنبيهًا للمحسنين أن يهتموا بهذا النوع في إعطائه بمزيد من الاهتمام والتقدير .

وفي الآية بُعد آخر يدلل على الاهتمام بهذا الصنف، وهو مجيء بعض الأصناف مع حرف اللام ، وهم (الفقراء- المساكين – العاملين عليها – المؤلفة قلوبهم)، وبعض الأصناف مع حرف في، وهم(الرقاب – الغارمين – في سبيل الله)، وكلهم جمع ، إلا ابن السبيل –المفرد- فقد جاء مجردًا من الحرفين جميعًا، فالصدقات لجميع هذه الأصناف، ولكن وروده بعضها معدًى بحرف اللام وعدم تكرارها، وبعضها معدًى بحرف في مع تكرارها مرتين، وبعضها بدون الحرفين معدًى بنفسه يدل على أنهم ليسوا سواء في استحقاق الصدقة فعدوله عن اللام واستخدام في يدل على أن الأصناف التي بعد في أرسخ وأقوى في استحقاق الصدقة ممن سبق ذكره وذلك أن في للظرفية والوعاء منبئة عن أحقيتهم بها وكونها محلها ومركزها، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر، وفي فك الغارمين من الدين من التخليص والإنقاذ.

وكرر في ولم يكرر اللام للتنبيه على ترجيح استحقاق المصرفين الآخرين على من سبقهم من المصارف[3]"، وهناك بُعد آخر في العدول عن استخدام حرف الجر " اللام" إلى "في" مع تكريرها ، وهو " أن هذا

---

(1) روح المعاني،٥/٣١٤، و تفسير القرآن الحكيم، المسمى :تفسير المنار، محمد رشيد رضا،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ١٠/٤٣٧.

(2) تفسير المنار، ١٠/٤٣٧.

(3) انموذج جليل، ص ١٧٢، ١٧٣.

الأصناف الأوائل ملاك لما عساه أن يدفع إليهم وإنما يأخذونه تملكًا فكان دخول اللام لائقا بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون لما يصرف نحوهم بل ولا يصرف إليهم ولكن يصرف في مصالح تتعلق بهم"[1]، وعدل عن استخدام حرفي الجر مع ابن السبيل وإفراده للتنبيه على تلك الخصوصية التي يتمتع بها هذا الصنف، وذلك لجمعه بين حالات متعددة تجمع بين بعض الأصناف التي جاءت معها اللام، وبعض الأصناف التي جاءت معها في، فيمكن وصفه بالفقير- المسكين – في سبيل الله فناسب المجيء به مفردًا مجردًا من الحرفين.

ومن نماذج المخالفة في العدد بين المفرد والجمع قوله تعالى :" خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[2]؛ حيث جاء بالقلوب والأبصار مجموعة، وجاء بالسمع موحدًا، ولو جاءت الآية وفق التوقع اللغوي لجمع السمع بجوار الأبصار والقلوب.

وقد ذكر عدد من المفسرين علة إفراد السمع بأنه مصدر جاء على أصله، والمصدر يقع على القليل والكثير، أو أن في الكلام حذفًا أي: مواضع سمعهم[3]، أو يكون السمع هنا بمعنى: السامعة وهي الأذن كما قالوا الغيب بمعنى الغائب[4].

---

(1) انظر: البحر المحيط، ٥/٤٤٥، وروح المعاني، ٥/٣١٤.

(2) سورة البقرة :٧.

(3) انظر: تفسير السمعاني، ١/٤٧، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ، ١/١١٨، والدر المصون، ١/١١٤، وتفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني،تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا،ط١، ١٩٩٩م ، ١/٩٢، وتفسير البغوي، ١/٦٥، وتفسير البيضاوي، ١/٤٣.

(4) انظر: التبيان في إعراب القرآن، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، ١/٢٣.

أو يكون قد اكتفى من الجمع بواحد؛ لأنه توسط بين جمعين، وهو استدلال بما قبل السمع وبما بعده فيفهم على أنه جمع كسابقه ولاحقه[1].

وذكر السمرقندي أن هذه المخالفة اللغوية علامة من علامات فصاحة القرآن الكريم، وعلل ذلك بأن" الشيء إذا أضيف إلى الجماعة مرة يذكر بلفظ الجماعة، ومرة يذكر بلفظ الوحدان، فلو ذكر القلوب والأبصار بلفظ الوحدان لكان سديداً في اللغة فذكر البعض بلفظ الوحدان، والبعض بلفظ الجماعة وهذه علامة الفصاحة، لأن كتاب الله تعالى أفصح الكلام"[2].

وهذه الآراء السابقة لم تتلمس البعد الدلالي في هذه المخالفة فلم تأت الأصناف الثلاثة جميعًا على لفظ المفرد، وكذلك لم تأت كلها على لفظ الجمع.

ذلك أن تقدير موضع للحذف مع السمع يمكن أن يكون مع بقية الأصناف الأخرى، لو فرضنا تقديراً للآية:ختم الله قلوبهم وعلى بصرهم، أي على تقدير : مواضع بصرهم مثلاً.

وكذلك المزاوجة بين الإفراد والجمع لإضافة السمع إلى ضمير مجموع يمكن الرد عليه بسؤال : لماذا اختار السمع مفرداً وأتى بالباقي مجموعًا، ولو كانت المسألة مقصورة فقط على الجانب الشكلي وإظهار جانب الفصاحة فقط، لكان من غير اللائق للقرآن الكريم وصفه بهذا فالقرآن الكريم معجز في نظمه وفي اختياره المفردات من أجل قيمة دلالية.

---

(1) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان،النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ، ١/١٣٥.

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ١/٢٥.

وعندما يكون هناك مخالفة للتوقع اللغوي؛ فإن ذلك يترتب عليه إنشاء دلالة لم تكن موجودة، ويميل الباحث إلى التفسير الذي يقوم على اتخاذ الدلالة محوراً ومنطلقاً لهذه المخالفة، وهذه الدلالة لا شك أنها احتمالية، ويرى الباحث أن توحيد السمع لأن متعلقه الأصوات وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان، والأكوان وهي حقائق مختلفة فأشار في كل منهما إلى متعلقه[1].

وكذلك القلوب فهي متفاوتة من حيث اشتغالها بالتفكير في أمر الإيمان، والدين مختلف باختلاف وضوح الأدلة ، وبالكثرة والقلة ، وتلقى أنواعاً كثيرة من الآيات ، فلكل عقل حظه من الإدراك، والأبصار متفاوتة التعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوحدانية في الآفاق، وفي الأنفس التي فيها دلالة فلكل بصر حظه من الالتفات إلى الآيات المعجزات والعبر والمواعظ ، فلما اختلفت أنواع ما تتعلقان به جمعت[2]، بخلاف الأسماع التي يحدث فيها تساو عند الجميع في المسموع ويكون اختلاف هذا المسموع في اختلاف التدبر والفهم.

وهناك بُعد دلالي فيزيائي يتعلق بالبصر والسمع؛ فإنه يحتمل أن يكون البصر الذي هو نور العين معنى يتعدد بتعدد المقلتين وليس كذلك السمع فإنه معنى واحد، ولهذا إذا غطيت إحدى العينين فإن نورها ينتقل إلى الأخرى، بخلاف السمع فإنه ينقص بنقصان أحدهما[3]، وهذا ما أكده علماء الفيزياء في العصر الحديث حيث ذكروا أن الأمواج الصوتية المسموعة لا تتجاوز عشرات الآلاف، في حين أن أمواج الأنوار والألوان المرئية تزيد على الملايين[4].

---

(1) البرهان في علوم القرآن، ١٩/٤.

(2) التحرير والتنوير، ٢٥٥/١.

(3) البرهان في علوم القرآن ١٩/٤.

(4) انظر: الأمثل في تفسير الكتاب المنزل ، الشيرازي، ١٠٧/١، بدون بيانات.

ومثل الآية السابقة في المخالفة بين الجمع والمفرد قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ[1]"؛ حيث وردت كلمة "اليمين" مفردة في مقابل نظيرتها" الشمائل" وهي مجموعة، وذكر عدد من المفسرين أن المخالفة تعود لاستخدام المفرد مكان الجمع، والاكتفاء بجمع أحدهما دون الآخر[2]، وفي مقابل هذا التوجيه الذي لم يذكر دلالة لهذه المخالفة فإن هناك فريقًا قد اهتم برصد الدلالة المترتبة على المغايرة بين الجمع والمفرد.

قال ابن عباس :" إذا صَلَّيْتَ الفجرَ كان ما بين مَطْلَعِ الشمس ومَغْرِبِها ظِلاً ثم بَعَثَ الله عليه الشمسَ دليلاً، فقبضَ إليه الظلَّ، فعلى هذا فأوَّلُ ذُرُورِ الشمس فالظِّلُّ عن يمينِ مستقبلِ الجنوب، ثم يبدأ الانحراف فهو عن الشَّمائل؛ لأنه حركاتٌ كثيرة وظلالٌ متقطعةٌ فهي شمائل كثيرةٌ، فكان الظلُّ عن اليمينِ متصلاً واحداً عامًا لكلِّ شيء"[3]، ويمكن تفسير قول ابن عباس – رضي الله عنهما- بأن المراد باليمين " النقطة التي هي مشرق الشمس وإنها واحدة، والشمائل هي الانحراف الواقع في تلك الأظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة" [4].

فتوحيد اليمين؛ لأنه في اتصال واحد وغير متقطع، في مقابل الانحراف الذي يحدث بعد ذلك، والذي يتكون من حركات كثيرة وظلال متقطعة فهي شمائل متعددة فناسبها الجمع.

---

(1) سورة النحل:٤٨.

(2) انظر: تفسير القرطبي، ١١٢/١٠، وزاد المسير في علم التفسير، بن الجوزي،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ١٤٢٢هـ ٥٦٣/٢، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، ٦٠٦/١، وتفسير الثعلبي، ٢٠/٦.

(3) البحر المحيط، ٥٣/٦.

(4) تفسير الرازي، ٢١٥/٢٠، وتفسير النيسابوري، ٢٦٦/٤.

ويوضح البقاعي بُعداً دلاليًا فيذكر أن الظل يكون أول ما تشرق الشمس مستقيماً إلى تلك الجهة على استواء، ولذلك أفرد اليمين، وجمع الشمائل؛ لأن الشمس كلما ارتفعت تحول ذلك الظل راجعًا إلى جهة ما وراء الشاخص، ولا يزال كذلك إلى أن ينتصب عند الغروب إلى جهة يساره قصداً على ضد ما كان انتصب إليه عند الشروق، فلما كان بعد انتصابه إلى جهة اليمين طالبًا في تفيئه جهة اليسار، وفي إفراد اليمين إشارة إلى قلة الجيد المستقيم وكثرة المنحرف الرديء[1].

رابعًا : مخالفة التوقع اللغوي في الصيغ

(أ)مخالفة التوقع بين صيغة المبالغة واسم الفاعل

قال تعالى :" فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ[2]"حيث جاءت الصفة الأولى " عزيز" بزنة المبالغة ، وجاءت الصفة الثانية " مقتدر" اسم فاعل مخالفة لصيغة المبالغة قبلها، وكان التوقع اللغوي أن يقال: أخذ عزيز قدير بمجيء المبالغة في الصيغتين .

وقد تحدث ابن جني في باب " قوة اللفظ لقوة المعنى" عن باب فعل وافتعل نحو: قدر واقتدر، فاقتدر أقوى من معنى قولهم قدر، ومقتدر في الآية أوفق وأبلغ من قادر- ولم ينص ابن جني على قدير – من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ[3]، وقد لمح أبو نواس هذا الفرق الدلالي بين الصيغتين فقال:

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، ١١/١٧٣.

(2) سورة القمر:٤٢.

(3) انظر: الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ٣/٢٦٨، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م، ٢/١٣٤.

فعفوت عني عفو مقتدر حلت له لثم فالثما[1]

وتحقق القدرة – لا شك – موجود في الصيغ الثلاثة : المبالغة / قدير ، واسمي الفاعل/ قادر، مقتدر، ولكن" مقتدر " اسم الفاعل من غير الثلاثي فيه دلالة إضافية عن الصيغتين تتمثل في تمكن قدرته التي لا يُرد شيء عن اقتضاء قدرته[2]، ولا رادّ لقدرته ولا معقب لها[3] ، فالتفخيم المستشعر في " مقتدر" يشعر أيضًا أن هذا الأخذ لم يكن على منحى طبيعي، وإنما هو أخذ مخصوص يدل على الشدة - وربما على العنف - التي لا تصدر إلا عن قوة الغضب، ويتناسب مع سياق العذاب والردع.

ومن نماذج المخالفة بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة قوله تعالى: "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"[4] حيث جاءت الصيغة الأولى " شاكرًا" اسم فاعل، والصيغة المعطوفة عليها "كفورًا" صيغة مبالغة، ولم يرد التركيب بصيغتين متوافقتين (شاكرًا كافرًا) اسمي فاعل ، أو (شكورًا كفورًا) صيغتي مبالغة، وذلك من أجل نفي المبالغة في الشكر وإثباتًا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغةُ فقلّ شكره لكثرة النعم عليه، وكثر كفره مع الإحسان إليه[5].

وتأتي هذه المخالفة مؤكدة على أن الإنسان يميل بمركب طبعه إلى التقليل في شكر المنعم على ما قدم له من نعم كثيرة، مع الكفران

---

(1) ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٦٨٤.

(2) البرهان في علوم القرآن، ٣/٣٤.

(3) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٧٤م، ٣/٣٠٠.

(4) سورة الإنسان:٣.

(5) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ٦/١٦٤، وتفسير القرطبي، ١٦/١٢٢.

الكثير والصعب بما أنعم عليه به[1]، أو تكون حالة المخالفة راجعة إلى عدد فعل واحد من النوعين " فإما سكان الشكر قل من يتصف به قال "شاكرا"، وإما سكان الكفر سكثر من الصبر به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر جاء "مكفورا" بصيغة المبالغة[2].

ومثله أيضاً قوله تعالى:" يأتوك بكل ساحر عليم[3]"، حيث جاء ساحر اسم فاعل منبوعاً بصيغة المبالغة عليم، ولم يرد الترغيب على هذه القراءة بتوافق السبعيتين" (ساحر/ عالم أو سحار / علام) - والمتوقع اللغوي هنا أن يأتي بصيغتي مبالغة (سحار / علام) لأن الأمر يتطلب مهارة عالية منهم لدحض موسى والانتصار عليه، فلا بد وأن العالمين بهم المرجون أن يكونوا على درجة عالية من التأول والإتقان حتى يتحقق لهم المرجون ما يريدون، وسحار أبلغ من ساحر وأشد مبالغة في الوصف"[4]. وهذا يتفق مع ما ورد في سورة الشعراء:" يأتوك بكل سحار عليم[5]"

وهناك تخريجان اثنين مراعاة للمعنى ويفسر هذه المخالفة، وهو أن سحار يفيد المبالغة من جهتين، فالكلمة ساحر تعني أنه يعمل بالسحر، وسحار يعني أنه يبالغ في إتقان السحر، والمبالغات دائماً تأتي للضخامة الحدث، فسحار تعني أن سحره قوي جداً، أو يسحر في كل حالة، فمن ناحية التكرار هو قادر على السحر، ومن ناحية الضخامة هو قادر أيضاً، وما دام القائلون متعددين: فواحد يقول: ساحر أي: يعمله السحر، وآخر

(1) انظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن،النيسابوري،تحقيق: المتولي حميد بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ١٤١٥هـ، ١/٥٥.

(2) البحر المحيط، ١٠/٣٦٠.

(3) سورة الأعراف:١١٢.

(4) حجة القراءات،ابن زنجلة،تحقيق:سعيد الأفغاني، دار الرسالة،ص٣٦١.

(5) سورة الشعراء:٣٧.

يقول : سحار للمبالغة، والقرآن يغطي كل اللقطات[1]"، وهذا من جماليات مراعاة القرآن لأحوال المتكلمين، ولا سيما إذا عرفنا انهم اختلفوا دلالياً حول ساحر وسحار، فمنهم من ذكر ان سحار لمن "يديم السحر والساحر من أن يكون قد سحر في وقت دون وقت، وقيل: الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر والسحار هو المنتهي الذي يتعلم منه ذلك" [2].

والتخريج الثاني: انه قد يكون راعى سياق الآيات قبل هذه الآية حيث ورد قوله تعالى: "قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ[3]" يقصدون موسى فجاء باللفظين كما هما "يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ[4]" من باب المقابلة والمناسبة لما مر[5].

وقد ذكر ابن جماعة تعليلاً لطيفًا في استخدام (سحار عليم) في الشعراء، و(ساحر عليم) في الأعراف مشيراً إلى انسجام النص القرآني في مراعاة سياق الآيات الذي يرشح استخدام صيغة دون اخرى، فمجيء سحار بصيغة المبالغة؛ لأنه تقدم قولهم (بسحره) في قوله تعالى :" يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ[6]"، فورد تقييد الإخراج من الأرض بسبب السحر، وفي سورة الأعراف :" لم يرد تقييد الإخراج من الأرض (بسحره) فقال :" يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ[7]"

(١) تفسير الشعراوي،مطابع اخبار اليوم ، ١٩٩٧م، ٤٢٨٨/٧.

(٢) انظر: روح المعاني، ٣٤/٥.

(٣) سورة الأعراف:١٠٩.

(٤) سورة الأعراف:١١٢.

(٥) انظر : البحر المحيط، ١٣٢/٥، وأسرار التكرارفي القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة،١٢٧/١.

(٦) سورة الأعراف:١١١.

تَأمُرُونَ[١]" دون ذكر السحر، فكان مناسبًا أن يقول " ساحر عليم " دون مبالغة[٢].

(ب) المخالفة بين صيغتي: (يُفاعلُ /يَفعلُ)

قال تعالى :" يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ[٣]"

حيث جاء الذكر الحكيم بالمخالفة بين الصيغتين (يخادعون) و(يخدعون) ، وكان التوقع اللغوي أن تكون الصيغة الأخرى مُشاكلة للصيغة الأولى، وقد وردت إحدى القراءات بها [٤]، وعلى هذه القراءة فلا مخالفة للتوقع لاتفاق الصيغتين، ولكن القراءة المشهورة جاءت بالمخالفة (يخدعون)، وهنا لابد من تفسير لهذه المخالفة، فالأصل في صيغة (فاعل) أن تجيء (غالبًا) من اثنين نحو: ضاربت وقاتلت، وقد تكون من واحد نحو: سافرت وعاقبت اللص[٥]، وعلى هذا المعنى يمكن التخريج على أن (يخادعون) الأولى عني به (فعلتُ) إلا أنه أخرج في زنة (فاعلت) لأن الزنة في أصلها للمبالغة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب؛ لزيادة قوة الداعي إليه [٦]، ويعضده قراءة أبي حيوة "يخدعون الله ".

---

(١) سورة الشعراء:٣٧.

(٢) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة ، تحقيق د/ كمال عبد الجواد خلف، دار الوفاء ، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٨٧.

(٣) سورة البقرة:٩.

(٤) انظر: معاني القراءات ، الأزهري، تحقيق د/ عوض القوزي، مركز البحوث بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٢هـ، ١/١٣٣.

(٥) انظر: الممتع الكبير في التصريف،مكتبة لبنان ، ١٩٩٦م، ص ١٢٨.

(٦) التفسير الكبير، ٢/٣٠٤، والكشاف، ١/٥٨.

وإذا كان المعنى على المفاعلة المبنية على إيراد الفعل من جه
واحدة وذلك لاستحالة المشاركة بينهما وبين الله عزوجل فقد قيل إ
المعنى : يخادعون رسول الله فاضاف الأمر إلى الله تجوزاً لتعلق رسول
به، ومخادعتهم هي تحيلهم في أن يفشي رسول الله والمؤمنون له
أسرارهم فيتحفظون مما يكرهونه ويتنبهون من ضرر المؤمنين على م
يحبونه [١]، وهذا تفسير لما يُوهم الشركة في المخادعة، وعلى تفسير ابي
عبيدة في أن خادعت الرجل بمعنى: خدعته [٢]، او يكون معناه: يخادعون
بالله الذين آمنوا[٣]، وهو قولهم إذا لقوا المؤمنين(آمنا)[٤]، او من خداعهم
المؤمنين بأنهم كانوا يجالسون المؤمنين ويخالطونهم حتى يأنس بهم
ويعدونهم من انفسهم فيبثون إليهم أسرارهم فينقلونها إلى اعدائهم [٥].

لكن الذي ينظر إلى المخالفة بين الصيغتين يتلمّس امراً آخر وهو
أن هناك فرقًا دلاليًا بين الفعل (خادع) والفعل (خدع) ذلك أن (
خادع) فعل يجوز أن يقع ويجوز الا يقع [٦]، فهو عبارة عن قصد الخداع
وعمل الحيلة في هذا، وهذا يتوافق مع بيان العرب فهي تقول: خادعت

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق:عبد السلام عبد
الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ١/٩٠.

(٢) مجاز القرآن ، ابو عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، الخانجي ، ١٣٨١هـ ص
٣١.

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، واحكامه، وجمل
من فنون علومه،ابو طالب القيسي، تحقيق :جامعة الشارقة ، بإشراف ا.د : الشاهد
البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ط١
١٤٢٩هـ، ١/١٥١.

(٤) سورة البقرة :١٤.

(٥) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ١/١٥٣.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية ، ١/١٥٢.

خلافًا إذا كنت تروم خداعه[1]، فالخدعة هنا ممكنة الحدوث، وهذا يتناسب مع قوله تعالى: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ" على تقدير: يخادعون نبي الله، أو أولياء الله، فقد يتحقق لهم مرادهم وقد لا يتحقق، وعلى خلاف ذلك الفعل :" وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ"، فهو فعل واقع لا محالة بتمام الحيلة عليهم، وذلك لأن مكرهم وكيدهم واقع بهم بلا شك[2]، والذي يؤكد على المعنى الذي ذهبنا إليه هو وجود قراءة أخرى :" يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ[3]" بصيغة المفاعلة في الصيغتين من باب المشاكلة اللفظية.

وقد اختار بعض العلماء قراءة " وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ" واعتبروها أولى من "يخادعون" التي تحتمل الوقوع وعدم الوقوع[4].

وهذا المعنى المبني على المخالفة الصيغية يؤيده قول أهل الإشارة: إنما يُخادع من لا يعرف البواطن، فأما من عرف البواطن فإن من خادعه فإنما يخدع نفسه[5]، ومكرهم هذا هو حال الذين في قلوبهم مرض أرادوا خداع الله ورسوله لجهلهم ببواطن الأمور وهي خفية عليهم معروفة لله عزوجل، فكان خداعهم لله ولرسوله والمؤمنين هو من باب خداع لأنفسهم ومكرهم بها، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

خامسًا: مخالفة التوقع اللغوي في الإعراب

(أ) المخالفة في العلامة الإعرابية بين المرفوع والمنصوب

(١) لسان العرب،ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، خدع .

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ، ١/١٥٢.

(٣) راجع معاني القراءات ، الأزهري، ١/١٣٣.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ، ١/١٥٢، والمحرر الوجيز، ١/٩٠.

(٥) انظر : الكشف والبيان ، ١/١٥٣.

قال تعالى :" لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا(١)"؛ حيث عطف " وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ " وهي منصوبة او مجرورة على مرفوع، وهو "الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"، والتوقع اللغوي المتسق مع صحة القاعدة يقتضي أن يكون المعطوف على المرفوع مرفوعًا، وقبل الشروع في بيان الوجه الدلالي لتلك المخالفة في التوقع الإعرابي يجب ان نذكر أن هناك بعض المصادر ذكرت أن هذه المخالفة الإعرابية إنما هي من غلط الكاتب(٢) وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي وهِم فيه الكاتب ولكن هناك موضعين آخرين؛ حيث ذكر معاوية عن هشام عن ابيه انه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله " وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ " وعن قوله :" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى(٣)" ، وعن قوله : " إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ(٤)" فقالت : يا ابن أخت هذا عمل الكاتب أخطئوا في الكتاب (٥) ، وقد رُد على هذا بأنه رأي بعيد جداً عند علماء اللغة، وذلك لأن الذين جمعوا القرآن هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أهل اللغة وأهل القدوة وهم قريبو العهد بالإسلام فكيف يتركون في كتاب الله شيئًا يصلحه

(١) سورة المائدة :٦٩.

(٢) انظر:جامع البيان في تأويل القرآن،الطبري، تحقيق:احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ٣٩٤/٩، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٣٠/٢.

(٣) سورة المائدة :٦٩.

(٤) سورة طه:٦٣.

(٥) الحديث في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر ، بيروت، /٧٤٥، وفضائل القرآن ، ابن سلام الهروي، تحقيق مروان العطية ، دار ابن كثير، مشق، ط١، ١٤١٥هـ، ص٢٨٧.

غيرهم، والقرآن محكم لا لحن فيه، ولا تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب[١].

وهناك دليل آخر على ضعف الراي القائل بغلط الكاتب وهو أن المصاحف متفقة على رسمها" وَالْمُقِيمِينَ" على هذا النحو ، ولو كان ذلك " خطأ من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلّمون من علّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم ولقّنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب ، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط رسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه ولا صنع في ذلك للكاتب[٢].

فالذي دعاهم للقول بالغلط هو مخالفة الرسم لما قبله، والقول على ظاهر الإعراب، ولسيبويه وغيره من النحاة في هذا – أي المخالفة الإعرابية في هذا – باب يسمونه باب المدح قد بينوا فيه صحة هذا وجودته[٣].

أما التوجيه الإعرابي لهذه المخالفة في التوقع الإعرابي فقد ذكر الأخفش أن المقيمين منصوبة بتقدير فعل مضمر على المدح، ثم عاد إلى العلامة الأولى الرفع، فرفع ما بعد المقيمين " وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ"، ومثله قول الخرنق بنت هفان :

لا يَبْعَدَنْ قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣٠/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ط شاكر، ٣٩٨/٩.

(٣) ذكر سيبويه انه سأل يونس عن قوله تعالى :" الحمد لله ربَ العالمين " بنصب رب فزعم انها عربية ، ومثله قول الله عزوجل :" لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون.....والمقيمين الصلاة " وعلق عليه بقوله: فلو كان كله رفعاً كان جيداً" انظر: الكتاب ، ٦٣/٢.

النَّازِلِين بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيبونَ مَعاقِدَ الأُزُرِ[1]

ومنهم من يقول " النازلون" و " الطيبين " ، ومنهم من يرفعهما جميعًا ، وينصبهما جميعًا على التفسير السابق[2] ، وقد اعترض على وجه النصب على المدح بأن العرب تنصب على المدح من نعت بعد تمام الخبر، وخبر الراسخين في العلم قوله :" أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا" فغير جائز نصب المقيمن على المدح وهو في وسط الكلام ولما يتم خبر الابتداء[3].

وقيل هو عطف على قوله " بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ" اي : وبالمقيمين الذين يقيمون الصلاة[4]، وذكر الزمخشري ان المقيمين منصوبة على المدح لبيان فضل الصلاة، وأنكر على الذين زعموا اللحن والخطأ في الآية ذاكرًا ان المدح باب واسع، وأن من مذاهب العرب الافتنان في النصب على الاختصاص[5]، وتخصيص المقيمين للصلاة هنا بالنصب مدحًا" لما للصلاة من التخصيص من بين العبادات؛ لأنها تالية الإيمان في أكثر مواضع القرآن، وقيل الموضع موضع جر عطفًا على الضمير في " منهم" ويكون التقدير: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك[6]، وقد اعترض الزجاج على هذا التوجيه بأنه رديء عند

(١) ديوان الخرنق بنت هفان، تحقيق وشرح يسري عبد الغني، دار الكتب العملية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٤٣.

(٢) معاني القرآن ، الأخفش،تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي القاهرة،ط١، ١٩٩٠م، ١/١٦٧.

(٣) انظر: معاني القرآن ، الفراء،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين ، دار المصرية للتأليف والترجمة،مصر،ط١،١/١٠٧، وتفسير الطبري، ط شاكر ٩/٣٩٥.

(٤) انظر: تفسير اتفسير الراغب الأصفهاني، ٤/٢٢٧، وزاد المسير في علم التفسير، ١/٤٩٨.

(٥) الكشاف، ١/٥٩٠.

(٦) زاد المسير في علم التفسير، ١/٤٩٨.

النحويين، ذلك أنه لا يعطف بالاسم الظاهر المجرور على الضمير المجرور إلا في شعر[1]، أو يكون الموضع جر لكنه عطف على الكاف في " إليك" أي: يؤمنون بما انزل إليك وإلى المقيمين الصلاة ...

وتحصل مما سبق قولان في التوجيه :

الأول: النصب على المدح – أو المخالفة بين الإعراب – وذلك ان المقيمن الصلاة من صفة الراسخين في العلم، ولكن الكلم لما تطاول واعترض بين الراسخين في العلم والمقيمين الصلاة ما اعترض من الكلام فطال؛ نصب المقيمين على وجه المدح، والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته إذا تطاولت بمدح او ذم، خالفوا بين إعراب اوله واوسطه احيانًا ثم رجعوا بآخره إلى إعراب اوله[2].

الثاني: الجر عطفًا، واختلفوا في المعطوف عليه على اربعة اقوال:

ا_ العطف على "ما" ويكون المعنى : لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما انزل إليك ويؤمنون بالمقيمين الصلاة.

ب-العطف على الضمير في " منهم " ويكون المعنى: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما انزل إليك.

جـ_ العطف على الضمير في" إليك" ويكون المعنى:اي يؤمنون بما انزل إليك وإلى المقيمين.

(١) معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج، عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٨هـ ١٣١/٢، ويمكن الرد على كلام الزجاج ومن تبعه من النحاة برداءة العطف على الضمير المجرور بانه قول مرجوح – عند الباحث- وذلك لورود العديد من الشواهد النثرية والشعرية يصعب معه القول بأنه مخصوص بالشعرفقط، كما أن النحاة قد جوزوا العطف على ضميري النصب والرفع ، ولا مانع من حمل جواز العطف مطلقًا على الضمير دون إعادة الجار.

(٢) تفسير الطبري، ط شاكر، ٣٩٥/٩.

د- العطف على الضمير في " وما أنزل من قبلك" ويكون المعنى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلاة

وفي هذه التوجيهات الأربعة خلاف في تحديد " المقيمين الصلاة " على أقوال ثلاثة :

١- الأنبياء (١) ٢- الملائكة (٢) ٣- المسلمون (٣)

وقد رجح صاحب النكت أن يكون " المقيمن الصلاة " هم الملائكة لقطع قوله " والمؤتون الزكاة " والملائكة لا توصف بإيتاء الزكاة والأنبياء يوصفون به(٤).

وفي أوجه الجر السابقة لم يظهر الأثر الدلالي لمخالفة التوقع الإعرابي في الآية، ويرى البحث أن المخالفة الإعرابية هنا إنما جاءت لأن المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب؛ كان المقصود أكمل؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الإيجاز تكون نوعاً واحداً.

والمقام هنا في تفضيل شعيرة الصلاة على بقية الشعائر، ولذا خُصت بالمخالفة الإعرابية، وترجيح النصب هنا أولى وأليق؛ لأن الموضع موضوع تفخيم فكان الأليق به إضمار الفعل حتى يكون الكلام جملة لا مفرداً(٥).

(١) بحر العلوم، السمرقندي، ١/٣٦٥.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، ١/٤٧٧.

(٣) البحر المحيط، ٤/١٣٥.

(٤) النكت في القرآن الكريم، ١/١٩٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، ٢/٤٤٦، والبحر المحيط، ٤/١٣٤، وعمدة القرآن وجهالات البشر، ١/٤١.

ومن المخالفة بين المرفوع والمنصوب ايضًا قوله تعالى :" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ[1]" ، حيث جاءت كلمة والطير في قراءة النصب بعد مرفوع، وهو يا جبال، وفي هذه القراءة مخالفة للتوقع اللغوي، وهناك قراءة اخرى باتفاق العلامتين في الاسمين بالرفع فيهما[2] .

والمعنى في قراءة الرفع واضح بالعطف على الجبال فكلاهما يسبح مع سيدنا داود، اما في قراءة النصب فهناك تخريجات لغوية ذكرها المفسرون والنحاة على النحو التالي:

ذكر سيبويه أن الخليل قال:" من قال يا زيدُ والنَّضْرَ فنصب، فإنما نصب لأن هذا كان من المواضع التي يُردّ فيها الشيء إلى أصله. فأما العرب فأكثر ما رأيناهم يقولون: يا زيدُ والنضرُ. وقرأ الأعرج: " يا جِبالُ أوبي معه والطيرُ " فرفع.

ويقولون: يا عمرو والحارثُ، وقال الخليل رحمه الله: هو القياس، كأنه قال: ويا حارثُ. ولو حمل الحارثُ على يا كان غيرَ جائز البتة نصبٍ أو رفع، من قبل أنك لا تنادى اسما فيه الألفُ واللام بيا....[3]" فيظهر من هذا أن الخليل وسيبويه قد اختارا وجه الرفع؛ إلا أنهم قدروا النصب في الطير عطفًا على " فضلا" من قوله تعالى :" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا" والتقدير : وآتيناه الطير، وجملة النداء معترضة بين المتعاطفين[4].

(١) سورة سبا:١٠.

(٢) معاني القراءات ، الأزهري، ٢/٢٩٠.

(٣) الكتاب، ٢/١٦٨، ١٧٨.

(٤) شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٠م، ٢/٢٣٠.

وقد رجح المبرد النصب واستحسنه وعلل ذلك برد الاسم بالألف واللام إلى الأصل كما نرده بالإضافة والتنوين إلى الأصل فيحتج عليهم بالنعت الذي فيه الألف واللام[1].

وذكر الفراء أن النصب من جهتين:

إحداهما: النصب بالفعل بقوله تعالى :" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ... وسخرنا له الطَّيْرَ فيكون مثلك قولك : اطعمته طعامًا وماء، تريد: سقيته ماء.

الثانية: النصب على نية النداء المجدد له إذا لم يستقم دعاؤه بما دعيت به الجبال؛ لأنك إذا قلت: يا عمرو والصلت اقبلا؛ نصبت الصلت لأنه يدعى بيا أيها، فإذا فقدتها كان كالمعدول عن جهته فنصب[2].

وذكر ابن الأنباري أن علة جواز العطف بالرفع والنصب على المنادى المفرد هو الحمل تارة على اللفظ وتارة على الموضع، فمن قرأ بالرفع حمله على اللفظ، ومن قرأ بالنصب حمله على الموضع[3] ، ومثله قول الشاعر:

(١) المقتضب، المبرد،تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب، لبنان ، بيروت، ٢١٢/٤.

(٢) معاني القرآن ، الفراء، ١٢١/١، و٣٥٥/٢.

(٣) انظر: اسرار العربية ، ابن الأنباري، دار الأرقم ، ١٤٢٠هـ، ص١٧٢، و التبيان في إعراب القرآن، ١٠٦٤/٢، وإعراب القرآن ، النحاس وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت،ك١، ١٤٢١ هـ ، ٢٢٩/٣، ومشكل إعراب القرآن، ابو طالب القيسي،تحقيق:د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط٢، ١٤٠٥ ، ٥٨٣/٢، ومعاني القراءات، الأزهري، ٢٨٩/٢.

ألا يا زيد والضحاك سيرا ... فقد جاوزتما خمر الطريق[1]

ويروى برفع الضحاك ونصبه ، ويعلق ابن جني على البيت بقوله :" فإذا عطفت على المضموم اسماً فيه الف ولام كنت فيه مخيراً، إن شئت رفعته وإن شئت نصبته[2]"

وقول جرير:

فما كعب بن مامة وابن سعدى ... بأجود منك يا عمر الجوادا[3]

حيث نصب المنادى " عمر" والقياس فيه الرفع ، واستدل به على أن المنادى الموصوف يجوز فيه النصب.

ويوجه النصب كذلك على أن الطير منصوبة على المفعول معه[4].

ونهدف من ذكر هذه التوجيهات توضيحَ الفرق بين معاني النصب فيما ذكر واختيار الذي يترتب عليه إبراز الجانب الدلالي، فإذا نظرنا إلى تخريج النصب بالعطف على الموضع أو على انه مفعول معه فنجد أن معنى الرفع في هذه الحالة والنصب سواء، ووذلك لأن المعنى في الحالتين هو تسبيح الطير والجبال مع داود عليه السلام .

---

(1) البيت بلا نسبة في الجمل المنسوب للخليل، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ، ص١١٠، واللمع في العربية، ابن جني، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية ، الكويت، ص ١١٠.

(2) اللمع، ابن جني، ص ١١٠، ١١١.

(3) ديوان جرير، دار صادر ، بيروت ، بدون بيانات، ص ١٠٧.

(4) انظرر: التبيان في إعراب القرآن، ١٠٦٤/٢، وإعراب القرآن ، النحاس، ٢٢٩/٣، ومشكل إعراب القرآن، ٥٨٣/٢.

ويرى البحث أن النصب هنا ليس له علاقة بنداء الطير مع الجبال أو المعية في إشراك الطير مع الجبال في التسبيح، وأن القصد من مخالفة العلامة الإعرابية لا يقف عند الشكل الإعرابي، وإنما بهدف الدلالة ، فالله سبحانه وتعالى يذكر إتيانه الفضل لداود عليه السلام، وذكر عدة أشياء تفصيلاً لهذا الفضل، ويمكن التمثيل بهذا الشكلين لتوضيح الفرق:

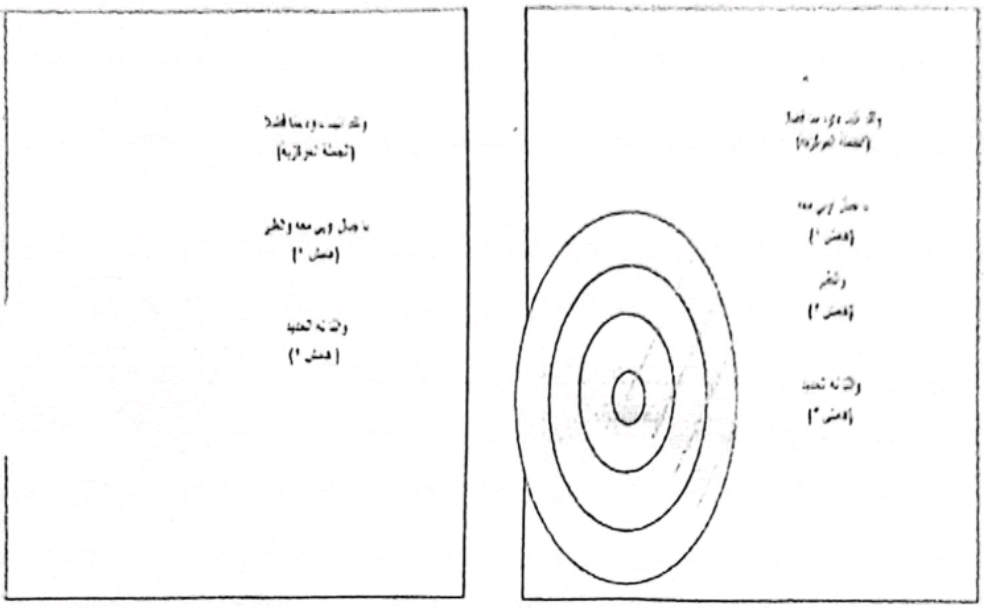

والفرق بين الشكلين يكمن في أن كليهما له جملة مركزية محورة واحدة هي:" وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا" ولكن في الشكل الأول هناك ثلاث جمل هامشية لبيان الجملة المحورية، وهي:

١- يا جبال أوبي معه. ٢- إتيان الطير . ٣- إلانة الحديد.

وفي الشكل الثاني هناك جملتان هامشيتان لبيان الجملة المحورية، وهما:

١- يا جبال أوبي معه والطير . ٢- إلانة الحديد.

فارتباط الطير وهي منصوبة مع الجبال في فعل التسبيح يجعل هذا الفضل قليلاً إذا ما قورن بجعل تسبيح الجبال نوعًا خاصًا من أنواع الفضل، وتسخير الطير له للقيام بأعمال اخرى مخالفة بذلك تأويب الجبال، وقد ذكر أبو السعود في تفسيره ما يقرب ما ذهبنا إليه من غرض تحقيق

... ... والطير بالنصب عطفاً على فضلاً بمعنى ... ... إياها إياه عليه الصلاة والسلام لتسخيرها له بلا ... ... إحضاره منها دُلل من الكمالين ولا إلى تقديم مطالب أي تسبيح ... ... دُلل عنه في رواية[1]، وإلانة الحديد له نوع من التذلل فتكون ... ... الإمرائية إيحاء بتكثير النعم والمطالبة من الله عز وجل ... ...

(ب) المخالفة في العلامة الإعرابية بين المنصوب والمجزوم :

قال تعالى :" فيقول ربّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّق وأكن من الصالحين"[2]

حيث عطف قوله :" وأكن" مجزوما على قوله تعالى :" فأصدق" منصوباً، وفي ذلك مخالفة للتوقع اللغوي، حيث كان متوقعاً أن يكون " فأصدق وأكون" بالعطف منصوباً على منصوب.

يقول سيبويه :" وقد سألت الخليل عن قوله عزوجل " فأصّدّق وأكن من الصالحين" فقال: هذا كقول زهير :

بدا لي أنّي لستُ مُدْرِكَ ما مَضَى ... ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا[3]

فإنما جزموا هذا، لأنّ الأول قد يدخله الباء، فجاءوا بالثاني وكأنهم قد اثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعل الذي قبله قد يكون جزماً ولا فاء فيه تكلموا بالثاني، وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي،بيروت ، ١٢٤/٧.

(٢) سورة المنافقون:١٠.

(٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٨٧ ..

توهموا هذا[1]" فقد خرجه الخليل وسيبويه على أنه عطف على التوهم وذلك لأن معنى: لولا اخرتني فأصدق ، ومعنى: اخرني أصدق واحد.

وذكر المبرد- كذلك – انه عطف على التوهم؛ لأنه حمله على موضع الفاء[2]، ولم يحمله على ما عملت فيه[3]، فلولا وجود الفاء كان أصدق مجزوماً، كما انه لولا الباء لكانت الجبال منصوبة؛ لأنه خبر ليس في قول الشاعر:

مُعاوِيَ إنّنا بشرٌ فأَسْجِحْ ... فلَسْنَا بالجبال ولَا الحديدا[4]

فهو من باب الحمل على المعنى [5]، او الموضع[6] كقول الإيادي:

فابلوني بليّتكم لعلي ... أُصالُحكم واستدرِجْ نَوَيّا[7]

فجزم " استدرج" وحمله على موضع " أصالحكم" لو لم يكن قبلها : لعلي، كأنه قال: فابلوني بليتكم اصالحكم واستدرج[1].

(١)١ انظر: الكتاب ، ٣/١٠٠، ١٠١، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ٣/٤٩٨، ومعاني القرآن، الأخفش، ١/٦٩.

(٢) المقتضب، ٢/٣٣٩، ومعاني القرآن ، الفراء، ١/٨٧، والدر المصون، ٤/٢١٦، وتفسير الرازي، ٣/٥٥٠.

(٣) الدر المصون ، ٤/١١١.

(٤) انظر الكتاب ، ١/٦٧، ٢/٢٩٢، ٢/٣٤٤، والمقتضب، ٢/٣٣٨، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين،ابن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ٢٠٠٣م، ١/٣٧١،والدر المصون،٤/٣٧١.

(٥) التبيان في إعراب القرآن، ٢/١٢٢٥.

(٦) الكتاب، ٢/٢٩٢.

(٧) ديوان أبي دؤاد الإيادي، نشر جوستاف جرونيام،ضمن دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٥٩م، ص ٣٥٠ .

واعترض السمين الحلبي على قول الخليل وسيبويه " الجزم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمنى بأنه لا موضع له في الآية؛ لأن الشرط ليس بظاهر، وإنما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط، كقوله تعالى" مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ[٢]" فمن جزم عطفه على موضع "؛ لأنه لو وقع مكانه فعل لانجزم[٣]"، واعتراض السمين مبني على التفريق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم؛ حيث إن العامل في العطف على الموضع موجود واثره مفقود، والعامل في العطف على التوهم مفقود واثره موجود[١].

وللآية قراءة اخرى اتت متسقة مع التوقع اللغوي ؛ حيث قرا ابو عمرو" فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ[٥]" بالنصب فيهما، وقد ذكر الباقلاني ان قراءة الجزم لحن، وتخليط ممن جمع القرآن وكتب المصاحف، وتحريف إما للجهل بذلك وذهابهم عن معرفة الوجه الذي انزل عليه، او لقصد العناد والإلباس وإفساد كتاب الله وإيقاع التخليط فيه[٦].

ومع التقدير للراي السابق فإن القول باللحن والتحريف، او تتبع نوايا الكتّاب والجزم بأنهم قصدوا إفساد كتاب الله تعالى والتخليط فيه قول بعيد ، ولا مستند أو دليل عليه، حتى مع صحة قراءة النصب – وهي

---

(١) معاني القراءات، الأزهري، ٣/٧١..

(٢) سورة الأعراف:١٦٨.

(٣)الدر المصون، ١٠/٣٤٤.

(٤) السابق، ١٠/٣٤٥.

(٥) حجة القراءات ، ١/٧١٠، والسبعة في القراءات ، ابن مجاهد، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ ١/٦٣٧.

(٦) الانتصار للقرآن ، الباقلاني، تحقيق:د. محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمّان، دار ابن حزم، بيروت،ط١،٢٠٠١ م ٢/٥٣١.

صحيحة ولا شك في ذلك[١]- لأن إسقاط حروف المد واللين لا يخلو من أن يكون على مذهب من مذاهب أهل الأعراب فيها[٢].

ولم يظهر في كلام المفسرين السابق أو معربي القرآن حديثًا عن الأثر الدلالي المترتب علي المخالفة الإعرابية، وكل ما ورد عنهم - بحسب اطلاع الباحث – هو ذكر الظاهرة النحوية لتلك المخالفة .

ويرى البحث أن ثمة فرقًا دلاليًا بين قراءة النصب " فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ" وقراءة الجزم " فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ" فمعنى نصب الفعلين أنك قصدت " التنصيص على كونها سببية[٣]"، وقد اشترطوا في نصب ما بعد فاء السببية كون ما قبلها أحد الأشياء المذكورة[٤]؛ لأنها غير حاصلة المصادر فتكون كالشرط الذي ليس بمتحقق الوقوع، ويكون ما بعد الفاء كجزائها[٥]، ومعنى هذا أن الفعل الأول سبب في حصول الثاني فيكون التأخير سببًا في التصدق.

ولو قرئ بنصب الفعلين؛ لكان التصدق وكونه من الصالحين سببين في طلب الرجعة إلى الدار الآخرة، ولكن بمخالفة التوقع اللغوي والانتقال من النصب إلى الجزم يكون المعنى -والله أعلم – مختلفًا حيث يكون التصدق السبب الرئيس في طلب الرجعة وهو لم يتحقق بعد، وذلك أن الشرط ليس بمتحقق الوقوع كما سبق، ويكون المعنى في الجزم هو

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن،الطبري،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة،ط١،٢٠٠١ م ، ٦٧٣/٢٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٤١/١.

(٣) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق د. يوسف حسن عمر، قار يونس، ليبيا ، ١٩٧٥م، ٦٧/٤.

(٤) كان يكون مسبوقًا بنفي أو استفهام أو أمر أو نهي.....

(٥) شرح الرضي على الكافية ، ٦٨/٤.

بشرط الصلاح على نفسه في حالة رجوعه مرة أخرى، ويكون في ذلك" قصد لتضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن فعل الشرط جمعاً بين التسبب المفاد بالفاء والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل[1]".

وفي تلك المخالفة ملمح آخر يبين استعمالات القرآن الكريم إذ به قصد الإيجاز وتوفير المعاني، وذلك أن " الفعل الأول هو المؤثر في الفعلين الواقع أحدهما بعد فاء السببية والآخر بعد الواو العاطفة عليه، فقد أفاد الكلام التسبب والتعليق في كلا الفعلين، وذلك يرجع إلى محسن الاحتباك، فكأنه قيل: لولا اخرتني إلى اجل قريب فأصدقَ وأكونَ من الصالحين وإن تؤخرني إلى اجل قريب اصدقْ واكنْ من الصالحين.

ومن لطائف هذا الاستعمال أن هذا السائل بعد أن حث سؤاله أعقبه بأن الأمر ممكن فقال: إن تؤخرني إلى أجل قريب أصدقْ وأكنْ من الصالحين[2].

سادسًا: مخالفة التوقع اللغوي في المفرد والجملة(المخالفة بين الحال المفردة والحال الجملة)

قال تعالى "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ....[3]"؛ حيث جاء التركيب مخالفًا للتوقع اللغوي بين الحالين: حيث وردت الحال الأولى (صافات) مفردة ، وجاءت الحالة الثانية (يقبضن) جملة.

ولا شك أن في هذه المخالفة دلالة مقصودة، وذلك لأن التوقع اللغوي أن يجيء بحالين مفردتين (صافات) و(قابضات)، أو بحالين

---

(١) التحرير والتنوير ، ٢٨/٢٥٤.

(٢) السابق والصفحة .

(٣) سورة النور: ٤١.

جملتين (يصفق) و(يقبضن)، لكن التعبير القرآني آثر ان يعبر بالجملة الأولى مفردة، والثانية جملة. وهذه المخالفة للتوقع لها عدة تخريجات منها ما يتصل بالصناعة، ومنها ما يتصل بالدلالة.

فما يتصل بالصنعة فقد خرّج على أنه عطف الفعل على الاسم [1] بمعناه اي: وقابضات، فالفعل هنا مؤول بالاسم ، فهو من نظير الحمل على المعنى [1]، وهو عطف جائز[2] - إلا عند السهيلي فإنه منعه[3]، وحكه ابو حيان بالفصاحة [1]- شبيه بعطف الاسم على الفعل؛ لكونه في تأويل الاسم، وقد ورد في قوله سبحانه وتعالى " يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ[1]"، وسيأتي بيان الآية السابقة في المخالفة بين الفعل واسم الفاعل، ومثله قول النابغة:

فألفيتهُ دهراً يبيرُ عدوَّهُ ومجرٍ عطاء يستحق المعابرُ

فقد عطف اسم الفاعل مجر على الفعل المضارع يبير، وقول الشاعر :

بات يعشيها بعضب باتر يقصد في أسوقها وجائر

---

(١) انظر:الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٣٩٠/١٠، واللبابفي علوم التفسير عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م ، ١٩٣/٨.

(٢) انظر: المحر الوجيز، ٣٤٢/٥.

(٣) انظر: الروض الأنف ، السهيلي، تحقيق عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٢٤١/٢، ٢٢٥/٥.

(٤) انظر: البحر المحيط، ٢٢٧/١٠.

(٥) سورة الأنعام :٩٥.

(٦) انظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧م، ص ٧١.

فعطف اسم الفاعل جائز على الفعل المضارع يقصد، وهو نظير قول الله تعالى : "فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ...."[٢]؛ إلا ان السمين الحلبي ذكر توجيهات اخرى غير التوجيه السابق حيث إنه جعل ذلك من باب عطف الفعل على الاسم لكن بعلة مختلفة ، وهي ان الاسم في تاويل الفعل [٣]، وذكر ابو البقاء ان اسم الفاعل هنا يشبه الفعل المضارع[٤] ، يعني ان (صافات) بمنزلة (ويقبضن)، واعترض على راي العكبري السابق بأنه لا ضرورة بنا إلى ان نجعل الاسم في محل الفعل المضارع حتى نتاول الاسم به، والفعل فرع عليه فينبغي ان يرد إليه[٥].

ويعني هذا ان هذا العطف من باب التناوب الصيغي بين الفعل والاسم والعكس، دون أن يكون هناك نص على تحول الدلالة بهذه المخالفة، أو الدلالة المترتبة جرّاء هذا التناوب .

وبعض العلماء قد لمح بُعدًا دلاليًا إثر هذه المخالفة، حيث نصّ بعضهم على أنه لم يقل: وقابضات لما قصده من معنى التكرار، فأشار الفعل إلى التكرار ولم يكن الاسم ليعطي ذلك[٦] ، واختيار هذا التركيب

---

(١) البيت بلا نسبة في خزانة الأدب، البغدادي ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون، الخانجي ، القاهرة ، ط٣، ١٩٩٨م، ٥/١٤٠، و شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، ط٢٠، ١٤٠٠هـ، ٣/٢٤٥.

(٢) سورة آل عمران :١٧٠.

(٣) الدر المصون ، ٣/٤٨٤.

(٤) انظر:التبيان في إعراب القرآن،١/٣١٠.

(٥) الدر المصون ٣/٤٨٤.

(٦) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتأويل والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ص ٢٦٥.

باعتبار أن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة، فالأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك؛ فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح (١).

فظهر من هذا أثر مخالفة التوقع اللغوي في إحداث دلالة جديدة مكتسبة من هذا التركيب الذي بيّن أن صفة القبض في الطائر صفة طارئة وليست ملازمة لها، وأن الأصل في الطيران صف الأجنحة، ولذا عبر عنها بالحال الاسم الذي يدل على المداومة بخلاف الحال الجملة التي تدل على التجدد.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يؤكد الباحث على أهمية فهم ودراسة الدلالة المترتبة على مخالفة التوقع اللغوي لما لذلك من أثر في فهم النص القرآني وتفسيره على نحو صحيح ، ويؤكد البحث على أن هذه الدلالات التي ظهرت في ثنايا البحث نتيجة مخالفة التوقع اللغوي إنما قصد إليها قصداً ، ولم تأت هذه المخالفة دونما معنى وراءها،وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الآيات القرآنية التي رصدها البحث للدراسة، فقد تبيّن للباحث أن مقولة النحاة " التغليب" - عندما يكون هناك حديث خاص بالمؤنث ، ويأتي اللفظ للمذكر- غير مقبولة إذا لم ترتبط بدلالة تفسّر هذه المخالفة واللجوء إلى التعبير بالمذكر دون المؤنث ، كما في قوله تعالى : " وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" ، وقوله تعالى :"

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، ٥٨١/٤، وتفسير الرازي ، ٥٩٢/٣، وتفسير النسفي، ٥١٥/٣، وزاد انه عطف من باب الحمل على المعنى ، ويكون في هذه الحالة توجيه استدلالي بالقياس، وفتح القدير للشوكاني ، ٣١٣/٥، والسراج المنير ، ٣٤٦/٤، وغرائب القرآن ، ٣٢٩/٦، والدر المصون، ٣٩١/١٠.

وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ."ذكر البحث الأثر الدلالي المترتب على مخالفة التوقع اللغوي بين التكير والتعريف، كما في قوله تعالى :" يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ"، وانه لا علاقة للتعريف أو التكير بتشريف جنس الذكور على الإناث .ذكر الباحث الأثر الدلالي المترتب على مخالفة التوقع اللغوي بين الأعداد، كالمخالفة بين المفرد والجمع ، والمفرد والمثنى ، كما في قوله تعالى :" يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ" ، وقوله تعالى :" " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ"، وغيرهما . ظهر اثر مخالفة التوقع اللغوي بين صيغة المبالغة)فعال) واسم الفاعل كما في قوله تعالى :" يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" ، وبين صغيتي اسم الفاعل والمبالغة (فاعل /فعول) ، كما في قوله تعالى :" إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . "ظهر الأثر الدلالي المترتب على مخالفة التوقع اللغوي في الإعراب ، والمخالفة بين المرفوع والمنصوب ؛ كقوله تعالى :" يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ "والمخالفة بين المنصوب والمجزوم؛ كقوله :" فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ"، وغيرهما مما ورد في البحث.

المراجع والمصادر

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٧٤م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ابو السعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي،بيروت.

- أسرار التكرارفي القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرماني ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.

- أسرار العربية ، ابن الأنباري، دار الأرقم ، ١٤٢٠هـ.

- إعجاز القرآن، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، سلسلة: ذخائر العرب، القاهرة، دار المعارف، ٢٠١٠.

- إعراب القرآن ، النحاس وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت،ك١، ١٤٢١ هـ .

- الأمثل في تفسير الكتاب المنزل ، الشيرازي، ١/١٠٧، بدون بيانات.

- الانتصار للقرآن ، الباقلاني، تحقيق:د. محمد عصام القضاة، دار الفتح عَمّان، دار ابن حزم، بيروت،ط١،٢٠٠١ م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين،ابن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ٢٠٠٣م.

- انموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، الرازي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى،دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٩٩١م.

- انوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- إيجاز البيان عن معاني القرآن،النيسابوري،تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥ه.

- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر ، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط١، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي.

- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التبيان في إعراب القرآن، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي.

- التحرير والتنوير المسمى :" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس،١٩٨٤م.

- تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني،تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا،ط١، ١٩٩٩م .

- تفسير الشعراوي،مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن الحكيم، المسمى :تفسير المنار، محمد رشيد رضا،الهي المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق : سامي محمد سلامة، د طيبة للنشر، ط٢ ، ١٤٢٠هـ.

- تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨هـ.

- التفسير القرآني للقرآن الكريم ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفك العربي ، القاهرة .

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مص للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة،ط.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن،الطبري،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة،ط١،٢٠٠١ م.

- جامع البيان في تأويل القرآن،الطبري، تحقيق:أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

- جدلية تعدد المعنى في الخطاب الديني ، د.محمد عبيد ، بحث منشور ضمن اعمال كتاب الألسنية المعاصرة واتجاهاتها ، الجامعة الماليزية ، مجلس النشر العلمي الماليزي، ٢٠١١م.

- الجمل المنسوب للخليل، تحقيق فخر الدين قباوة، ط٥، ١٤١٦ه.

- حجة القراءات،ابن زنجلة،تحقيق:سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

- خزانة الأدب، البغدادي ، تحقيق وشرح محمد عبد السلام هارون، الخانجي ، القاهرة ، ط٣، ١٩٩٨م.

- الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،السمين الحلبي، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار الفكر ، بيروت.

- ديوان أبي دؤاد الإيادي، نشر جوستاف جرونيام،ضمن دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

- ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

- ديوان الخرنق بنت هفان، تحقيق وشرح يسري عبد الغني، دار الكتب العملية ، بيروت، ١٩٩٠م.

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧م.

- ديوان جرير، دار صادر ، بيروت ، بدون بيانات.

- روح البيان،إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر، بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ.

- الروض الأنف ، السهيلي، تحقيق عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

- زاد المسير في علم التفسير، بن الجوزي،تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ١٤٢٢ه.

- السبعة في القراءات ، ابن مجاهد، تحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، ط٢٠ ١٤٠٠هـ.

- شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٠م.

- شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق د. يوسف حسن عمر، قار يونس، ليبيا ، ١٩٧٥م.

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان،النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

فتح القدير ، الشوكاني، دار ابن كثير ،دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

فضائل القرآن ، ابن سلام الهروي، تحقيق مروان العطية ، دار ابن كثير ، دمشق، ط١، ١٤١٥ه.

فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي،ط١٤٢٢،١هـ .

الكتاب ، سيبويه ، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٣، ١٩٨٨م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ه.

كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة ، تحقيق د/ كمال عبد الجواد خلف، دار الوفاء ، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢م.

اللباب في علوم الكتاب،ابن عادل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

لسان العرب،ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية ، الكويت.

- مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، الخانجي ، ١٣٨١هـ.

- محاسن التأويل، القاسمي ، تحقيق:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت،ط١، ١٤١٨ هـ.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٩م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق:عبد السلا عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- مشكل إعراب القرآن، أبو طالب القيسي،تحقيق:د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة،بيروت،ط٢، ١٤٠٥.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ.

- معاني القراءات ، الأزهري، تحقيق د/ غوض القوزي، مركز البحوث بكلية الآداب ، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤١٢ه.

- معاني القرآن ، الأخفش،تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط١، ١٩٩٠م.

- معاني القرآن ، الفراء،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين ، دار المصرية للتأليف والترجمة،مصر،ط١.

- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج، عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٨هـ.

معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

مفاتح الغيب المسمى بالتفسير الكبير ، الرازي، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ.

المقتضب، المبرد،تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب، لبنان ، بيروت.

ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتأويل والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الممتع الكبير في التصريف،مكتبة لبنان ، ١٩٩٦م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

النكت في القرآن الكريم، ابن بطال،دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ٢٠٠٧م.

النكت والعيون، الماوري،تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه،أبو طالب القيسي، تحقيق :جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،ط١، ١٤٢٩هـ.